ابو العلاء المعري واخوان الصفاء

إخوان الصفاء طائفة من العلماء الحكماء اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة وجعلوه إحدى وخمسين مقالة أو رسالة : خمسون منها في خمسين نوعاً من الحكمة ومقالة جمعت أنواع المقالات على طريق الاختصار .

وقد زعم هؤلاء أن الشريعة دنست بالجهالات ولا سبيل الى تطهيرها الا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال . وقد سموها رسائل إخوان الصفاء . وفيها نعي على الحياة السياسية وتعريض بما طرأ عليها من الخلل والاضطراب ، ولما كانت مشتملة على ما لا يوافق الدين والسياسة خاف أصحابها على أنفسهم أن يصيبهم ما كان يصيب الزنادقة والملحدين فكتموا أسماءهم . وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس ليصلوا الى الغاية المقصودة من إنشائها ووضعها

وكتمان هؤلاء الجماعة أسماءهم فسح المجال لاختلاف الناس فيمن وضع هذه الرسائل . فقال فريق إنها من كلام بعض الائمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في اسمه اختلافاً كبيراً وقال فريق ثان إنها تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الاول وقال فريق ثالث وضعتها جماعة وقد ذكروا منهم أبا سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبا الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبا أحمد المهرجاني او النهرجوري والعوفي [1] وزيد بن رفاعة

وكل هذه الأقوال قائمة على الحدس والتخمين كما يتضح ذلك من كلام القفطي وغيره وقد ذكر الدكتور طه حسين في ذكرى أبي العلاء ص ١٧٩ وتجديده ص ١٥٠ أن أبا العلاء المعري كان يحضر المجمع الخاص الفلسفي الذي كان يأتلف

(١) لا تعلم حقيقة هذا الاسم فانه يقرأ العوفي والعرفي والعوقي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري وفيه يقول من قصيدة بعث بها اليه

تهيج أشواقي عروبة أنهـا اليك زوتني عن حضور بمجمع

ثم قال : وكأن هذا المجمع السري هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هـذا اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر ودلالته الخاصة على جماعة فلسفية تشترك في الاغراض والآراء وذلك حيث يقول

كم بلدة فارقتهـا ومعاشر يذرون من أسف علي دموعا
واذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لوداد [1] اخوان الصفاء مضيعا
خاللت توديع الأصادق للنوى فمتى أودع خلي التوديعا

وزاد على هذا في المقدمة التي كتبها في رسائل اخوان الصفاء فقال في ص ٧ في الكلام على الرسائل المذكورة: فهذا الكتاب .. يمثل من جهة فساد الحياة السياسية الاسلامية في ذلك الوقت لأن الذين كتبوه جماعة لا نعرف منهم أحداً لأنهم كانوا يعملون من وراء ستار وكانوا يعملون لغرض سياسي قبل كل شيء ... وانما كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف فهم من غلاة الشيعـة ولعلهم من الاسماعيليين ..

وقال في ص ٨ كان هؤلاء الناس اذن يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة سرية وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر سياسي عقلي [2] فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الاسلامي يومئذ .

وقال في ص ٩ وقد احتاط هؤلاء الناس في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحدا كما قلنا وانما سميت أسماء لا تتجاوز الخمسة ولا تخلو من أن يحيط بها الشك وكل ما نستطيع ان نعرفه من أمر هذه الجماعة انهـا نشأت في البصرة في منتصف القرن الرابع وعرف لها فرع في بغداد وليس عندي شك في أن أبا العلاء قد

(١) في ياقوت لعهود (٢) كذا في الاصل.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اتصل بهذا الفرع حين ارتحل الى بغداد آخر هذا القرن وكان يحضر اجتماعه يوم الجمعة من كل اسبوع نرى ذلك في سقط الزند بل نرى بعض أسماء الذين كانوا يحضرون جلسات هذا الفرع ونكاد نعرف المكان الذي كانوا يجتمعون فيه يوم الجمعة من كل اسبوع ونكاد نلمح في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو المعتدل الذي لابد منه فيما يظهر لتسنقيم فلسفة الفلاسفة . وقد أشرت الى شيء من ذلك في ذكرى أبي العلاء على أني أشد استيقاناً به الآن وأعتقد أنا نجد في رسائل اخوان الصفاء أحسن تفسير لكثير من غوامض اللزوميات . الى آخر كلامه .

ويظهر للمتأمل ان الاستاذ الدكتور جعل دار عبد السلام مجمعاً خاصاً للفلسفة وان الاجتماع فيه يوم الجمعة وحجته في ذلك بيت ابي العلاء المتقدم . تهيج اشواقي ..

وانه استنبط من قول المعري في الابيات العينية المتقدمة ان هذا المجمع السري هو الذي سماه ابو العلاء اخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ في ذلك العصر ودلالته على جماعة فلسفية .... وانهم من غلاة الشيعة وان ابا العلاء منهم . وهذا استنباط غريب ؛ والأدلة على بطلان كل ما تقدم أمور كثيرة منها أن قول المعري عن حضور بمجمع ليس فيه تصريح بأن المجمع كان في دار عبد السلام ولا بأنه كان مجمعاً فلسفياً سرياً بل يجوز أن يكون المجمع دار العلم او الكتب التي كان عبد السلام خازناً لها وتخصيص يوم الجمعة يجوز أن يكون عبد السلام اختاره للمعري ليتمكن من زيارته بسبب فراغه في ذلك اليوم او ليجمعه برجال من العلماء والادباء كانوا يجتمعون في ذلك اليوم في دار العلم أو في غيرها للمذاكرة والمفاكهة والمطارحة والمؤانسة ونحوها وهذا أقرب الى القبول واكثر ملاءمة لما عرف به عبد السلام من الاشتهار بالقراءة ورواية الأخبار والحديث والتفسير وغيرهما ولو شعر الناس بأنه ينحو منحى الفلاسفة في عقيدته لأعرضوا عن روايته

ومنها ان هذا اليوم لو كان يوم المجمع السري لما صرح أبو العلاء بذكره في هذه القصيدة كيلا ينتبه له خصومه ومن البعيد أن يركن اخوان الصفاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ابي العلاء وهو غريب عنهم وقد نقل عن ابي حيان انهم كانوا يجتمعون في منزل ابي سليمان النهرجوري . وكانوا اذا اجتمع معهم اجنبي التزموا الكنايات والرموز والاشارات ...

ومنها ان كلمة إخوان الصفاء في أبيات المعري المتقدمة لا تدل على ماأراده الاستاذ الدكتور بل الاقرب أن يراد بالصفاء هنا مصافاة المودة

وقد وقعت هذه الكلمة في كلام كثير من الشعراء والكتاب منهم عمرو بن شاس الأسدي حيث يقول [١]

تذكرت اخوان الصفاء تيمموا فوارس سعد واستبد بهم جهلا

ومنهم الخنساء حيث تقول [٢]

ولم يجز اخوان الصفاء ويكتسي عجاجًا أثارته السنابك اكدرا

ومنهم ابو حبال البراء بن ربعي الفقعسي [٣]

أولئك اخوان الصفاء رزئتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع

ومنهم اسماعيل بن يسار [٤]

وان أيقنت ان الغي فيما دعاك اليه اخوان الصفاء

ومنهم عبد السلام بن رغبان [٥]

فهيك اخًا لم تحوه بقرابة بلى ان اخوان الصفاء أقارب

ومنهم ابن الرومي

لو أن اخوان الصفاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأعمار

وقال ابن المقفع في باب الحمامة المطوقة من كتاب كليلة ودمنة فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة

(١) معجم البلدان : « ارمات » . (٢) ديوان الخنساء . (٣) حماسة ابي تمام .
(٤) حماسة البحتري . (٥) زهر الآداب ٣ ـ ١٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهؤلاء كلهم ذكروا اخوان الصفاء وهم يريدون اخوان المودة الصافية الخالصة قبل ان تؤلف جمعية اخوان الصفاء وابو العلاء احتذى على مثالهم على ان ياقوتاً روى في معجم الأدباء ج ١ ص ١٧٥ عن ابي الوليد الدربندي قال انشدني ابو العلاء التنوخي في داره عند وداعي اياه وذكر الابيات الثلاثة المتقدمة وابو الوليد هذا هو الحسن بن محمد البلخي الدربندي المحدث الصوفي طاف الآفاق في طلب الحديث ثم رجع الى سمرقند وتوفي سنة ٤٥٦ كما قال ابن عساكر ج ٤ ص ٢٤٧ وذكره ياقوت في دربند وفي سقط الزند ج ٢ ص ١٣٦ انه قال هذه الأبيات على لسان البلخي ٠

وفي كلام الاستاذ الدكتور في مقدمة رسائل اخوان الصفاء تناقض بين وذلك انه قال : لأن الذين كتبوه جماعة لا نكاد نعرف منهم أحدا ٠٠ ثم قال وقد احتاط هؤلاء في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحدا ٠٠ ثم قال وانما سميت بأسماء لا تتجاوز الخمسة ولا تخلو من أن يحيط بها الشك ٠٠ ثم قال وكل ما نستطيع ان نعرفه ٠٠ انها نشأت في البصرة ٠٠ وعرف لها فرع في بغداد ٠٠٠

ثم ما لبث ان ناقض نفسه وتخلص من هذه الشكوك وزاد استيقاناً فقال بعد ما تقدم : وليس عندي شك في ان أبا العلاء ، قد اتصل بهذا الفرع ببغداد وكان يحضر اجتماعه ٠٠٠ ثم قال : نرى ذلك في سقط الزند ٠٠ بل نرى بعض اسماء الذين كانوا يحضرون ٠٠ ثم قال ونكاد نعرف المكان الذي يجتمعون فيه ٠٠ ثم قال ونكاد نلمح في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو ٠٠٠ ثم قال على انني أشد استيقاناً به ٠٠ الى آخره ٠

وهذا التناقض يوقع الواقف على كلامه في ظلمات من الشك والحيرة فلا يدري على أي قوليه يعتمد أعلى قوله لا نكاد نعرف ٠٠ ام على قوله نكاد نعرف ونلمح ونرى ٠ واعتقد ٠٠٠

واذا أردنا ان نجري كلامه على طريقة العلماء في النصين المتعارضين ونعول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على المتأخر منهما لا نجد له دليلاً يؤيده والقضايا التاريخية لا تقوم على ظنون وأوهام ولا على احتمال وتخمين .

وأغرب مافي كلامه أن يحكم على اخوان الصفاء بأنهم من غلاة الشيعة أو الاسماعيليين ثم يزج بأبي العلاء بينهم فيجعله في عدادهم وابو العلاء ينفر عقله مغضباً من اتباع مثل الامامين مالك والشافعي مع اعترافه بفضلهما وينكر على الشيعة والاسماعيليين أشد الانكار ولولا خشية الاطالة لأوردنا أمثلة تدل على مبلغ انكاره عليهم وبراءته من موافقتهم في شيء من عقائدهم . وحسبنا أن نحيل القارئ على رسالة الغفران فان فيها غنية للطالب ومقنعاً للمرتاب . ونجتزئ بهذا القدر للدلالة على أن أبا العلاء ليست له صلة باخوان الصفاء وما وقع في كلامه مما يشبه ما في رسائل اخوان الصفاء فحكمه حكم ما وقع في كلامه مما يشبه كلام غيرهم

والباحث في كلامه يجد فيه كثيراً من الآراء التي وافق فيها افلاطون وغيره وخالف فيها ارسطو وغيره وكثيراً من العادات التي استحسنها لاهل الهند وغيرهم ولم يكن من اشياعهم ولا أتباعهم ولا شهد مجامعهم

ولم يحدثنا التاريخ أن أبا العلاء كانت له أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف .

واغرب من ذلك كله أن يعرف الاستاذ ويرى ويلمح وهو في مصر بعد الف سنة تقريباً مالم يعرفه ويره ويلمحه أهل بغداد والبصرة حين كان أولئك الجماعة بين ظهرانيهم ، وحين كان رجال الدين والسياسة يبالغون في التنقيب عن أمثالهم

ومما تقدم يتضح ان استنباط الاستاذ لطيف جميل لو مهد له السبيل وأناره بدليل ولكن شيئاً من هذا لم يكن . فسبحان الموفق

سليم الجندي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net